﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ٤٩﴾ [البقرة: 49]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا قدَّم الله تعالى ذكر مِنَّتِه على بَنِي إسْرَائيل على وجه الإجمالِ في قوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾، وحذَّرهم من مخالفةِ مُوجِبِ ذلك الإنعامِ بقولِه ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾؛ بيَّن بعد ذلك أقسامَ تلك النِّعَم على وجه التَّفصيل ليكون ذلك أبلغَ في تذكيرِهم وأعظمَ في الحجَّةِ علَيْهِم، فقال تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾[1]، وبدأ بنعمة تنجيتهم لِتَرتُّبِ باقي النِّعَمِ عليها.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿نَجَّيۡنَٰكُم﴾: النُّون والجِيم والوَاو تدُور تصاريفُها على: الانفصالِ مِنَ الشَّيء، وخُلُوصِه مِن بين ما يُحيط به، أو يُجاوره[2].

ومِنْهُ: الإنْجَاء والتَّنجية؛ بمعنى: التَّخْلِيصِ مِنَ الهَلَكَةِ[3]، كأنَّ الشَّيءَ ارتفعَ عمَّا حولَهُ، فلَمْ يُخْلَصْ إِلَيْهِ بأذًى، وهذا المعنى: هو الواردُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾.

2) ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾: السِّين والواوُ والـميم تدلُّ اشتقاقاتُها على: امتدادِ بقاءٍ أو مرورٍ وذهابٍ في حيِّز بِلَا حَدٍّ، ومِنْهُ قولُهم: سَامَتِ الماشيةُ؛ إذا رَعَتْ حَيْثُ شَاءَتْ، وسامَهُ الذُّلَّ: أَوْلَاهُ إيَّاهُ، وفيه معنى الدَّوامِ[4].

(1) الرَّازيّ، التّفسير الكبير: 3/504.
(2) الرّاغب، المفردات: (نجو)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (نجو).
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 77.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (سوم).

والسَّوْمُ: أَن تُجَشِّمَ إِنْسَانًا مَشَقَّةً أَو سُوءًا أَو ظُلْمًا[1]، وأكثرُ ما يُستعمل في العذاب والشَّرِّ[2].

3) ﴿سُوٓءَ﴾: السِّين والواو والهمزَة تدلُّ تصريفَاتُهَا على: القُبْحِ، ومِنْهُ سمِّيت النَّارُ: سُوأَى؛ لقُبْحِ مَنْظَرِهَا[3]، ومنه قيل لفَرْجِ الرَّجُلِ أوِ المرأةِ: سَوْأَةٌ؛ لأنَّ الفطرَةَ السَّوِيَّةَ تَسْتَقْبِحُ إِظْهَارَهَا[4].

وسُمِّيت السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً؛ لأنَّها عَمَلٌ قبيحٌ[5]، والسُّوءُ: كُلُّ ما يَغُمُّ الإنسانَ مِنَ الأمورِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ[6].

وسوءُ العذاب في قول الله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، هُو: شديدُهُ وَأَقْبَحُهُ[7].

4) ﴿يُذَبِّحُونَ﴾: يدورُ جِذر هذه الكلمة -وهو الذَّال والباءُ والحاءُ- على معنى: الشَّقِّ، ومنه: الذُّبَّاح: وهي شُقُوق في أصول الأصابِع، والمَذابح: وهي سيول صغار تَشُقُّ الأرض شَقًّا[8]، والذَّبْحُ في الحيوان: قَطْعُ الحُلْقُوم مِن باطنٍ[9]، وهو المرادُ بقول الله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، إلَّا أنَّ فيه معنَى التَّكثير؛ أَيْ: يُذَبِّحُون بَعْضَهُم إِثْرَ بعضٍ[10]، وقَدْ يُطلق الذَّبْحُ على الغَلَبَةِ وَالإهلاك[11].

5) ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: الحاءُ واليَاءُ والحَرْفُ المُعْتَلُّ، تَدُلُّ تصاريفها على مَعْنَيَيْنِ: أحدهما: ضِدُّ الموت، وهو الحياةُ، والآخَر: ضِدُّ الوقاحةِ، وهُوَ الاسْتِحْيَاءُ[12].

والفعل: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾؛ مِن الأصل الأوَّلِ -وهو ضدُّ الموتِ- يقال: استحياهُ؛ إذا تركه حيًّا، ومعنى (يَسْتَحْيُونَ): يَسْتَبْقُونَ[13]؛ فهم يُبْقُونَ الإناثَ؛ ليجعلوهُنَّ إماءً وخَدَمًا[14].

---

(1) الخليل، العين: (سوم)، وابن منظور، لسان العرب: (سوم).
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (سوم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سوء).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (سوأ).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سوأ).
(6) الرّاغب، المفردات: (سوأ).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سوأ). إسماعيل حقّي، روح البيان: 1/129.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ذبح).
(9) الزَّبيدي، تاج العروس: (ذبح).
(10) الرّاغب، المفردات: (ذبح).
(11) أبو موسى المدينيّ، المجموع المغيث: (ذبح).
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حيي).
(13) نشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (حيا).
(14) أبو عُبيد الهرويّ، الغريبين: (حيا).

6) ﴿بَلَآءٌ﴾: الباءُ واللَّام والياء تدور كثيرٌ مِن اشتقاقاتِها على: معنى الاختبار[1].

ومِنْهُ: البَلَاءُ، ويُستعمل في الخَيْر والشَّرِّ -فهو مِنَ الأضداد-؛ فالبَلَاء: المِحنة والبَلِيَّة، والبلاء: المنحةُ والنِّعمة أيضًا[2]، وسُمِّي ذلك بلاءً؛ لأنَّ الاختبار يقع بالخَير كما يقع بالشَّرِّ[3]، كما في قول الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: 168].

والبلاء في قول الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، يَتَنَازَعُهُ المَعْنَيَانِ - معنى الشرّ ومعنى الخير-، وذلك راجع إلى المراد باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُم﴾؛ وَعَلَيْهِ فالبلاء يحتَمِلُ أن يكون بمعنى: المِحنة والنِّقمة، أي: وفي سَوْمِكُم سوءَ العذاب وذَبْح أبنائكم واستحياء نسائكم محنةٌ ونِقمة، ويحتَمِلُ أن يكون بمعنَى: المِنْحَة والنِّعمة، أي: وفي إنجائِكُمْ من آل فرعون منحةٌ ونِعمة[4]، والثَّاني أَوفَقُ لسياقِ الامتنانِ.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تذكير بني إسرائيل بنعمة الله تعالى لإنجائهم من فرعون وقومه

واذكروا -يا بني إسرائيل- حين خلَّصنا آباءَكُم وأسلافَكُمْ مِن بطش فرعون وأتباعِه الذين كانوا يُذيقونَكم أشدَّ العذابِ وأَقْبَحَهُ، فقد كانوا يُكثرون مِن ذبح أبنائكم، ويَسْتَبْقُون نساءَكم ليجعلوهُنَّ إماءً وخدَمًا، وفي إنجائِكُمْ من ذلك نعمةٌ ومِنَّةٌ عظيمةٌ من ربِّكُمْ ﷻ، تستحقُّ مِنكم أن تشكروهُ في جميع عصورِكُم وأجيالكم[5].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

العُدُولُ عَنِ التَّعْبِيرِ بِالمَصْدَرِ الصَّرِيحِ إِلَى التَّعْبِيرِ بِالجُمْلَةِ

عِظَمُ قَدْرِ نجَاةِ العَبْدِ بِمِقْدَارِ الهَوْلِ الذي كانَ فيهِ.

العطف في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ على قولِه قبلُ: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بلو/ي).
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (بلي).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 2/49.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/48، وابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/63.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/36-49، والبغويّ، معالم التَّنزيل: 1/90، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 52، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 8.

﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 47]، والتَّقدير: اذكروا حين إنجائكم، وعُدِلَ عَنِ الإتيان بالمصدر الصَّريح إلى (إذ) المقتضيَةِ لِلجملةِ؛ لما فيها مِن استحضارٍ للتَّكوينِ العجيب الذي تُفيدُهُ صيغةُ الفعلِ؛ إذ النَّفْسُ تتصوَّرُ مِنَ المصدرِ الصَّريحِ معنَى الحدثِ المجرَّدِ، بخلاف الجملةِ الفعليَّةِ؛ فإنَّ النَّفس تتصوَّرُ مِنْهَا الفعلَ وفاعلَهُ ومفعولَهُ ومتعلَّقاتِهِ دفعةً واحدةً، وفي ذلك صورة عجيبةٌ؛ إذْ فيها استحضارٌ لِلْأَهوال التي كانوا يعيشونَها بأسمائِهَا وأضرارِهَا، ويترتَّب على ذلك استحضارُ عظيمِ منَّة الله تعالى بالإنجاءِ؛ إذِ مقدارُ الإنْجَاء بمقدار ما كانوا فيه مِنَ الأهوال[1].

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ الدَّالِّ على التَّعظيم:

التَّنْجِيَةُ مِنَ العَدُوِّ مِن أعظَمِ النِّعم

العدولُ عنِ التَّعبير بضمير المتكلِّم الدَّالِّ على المفردِ في قول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: 47] إلى التَّعبير بضمير المتكلِّم الدّالّ على التَّعظيم في قوله سبحانه: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾، فلم يقل: (وَإِنْجَائِي)؛ لأنَّ التَّنْجِيَةَ مِنَ العدُوِّ من أعظَمِ المِنَنِ عليهم، فكان المناسبُ أن تُنْسَبَ النِّعْمَةُ العُظْمَى للمعُظِّم نفسَهُ[2].

سِرُّ ذكرِ آلِ فرعون وعدَمُ الاكتفاءِ بفرعون:

الإشارةُ إلى أنَّ التَّابعَ أشدُّ ظُلمًا من المتبوعِ

جعلَ اللهُ تعالى النَّجاة مِن آل فرعونَ، ولَم يَجْعَلْهَا مِن فرعون نفسه، مع أنَّه الآمرُ بتعذيب بني إسرائيل؛ تَعْلِيقًا لِلْفِعل بِمن هو مِن متعلَّقاته على طريقة الحقيقة العقليَّة، وتَنْبِيهًا على أنَّ هؤلاء الوَزَعَة والمكلَّفين ببني إسرائيل كانوا يتجاوزون الحدَّ المأمور به في الإعْنَات على عادة المُنَفِّذين؛ فإنَّهم أقلُّ رحمةً وأضيقُ نفوسًا من وُلاةِ الأمور[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/489، ومحمّد أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/224.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/311.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/490.

سِرُّ الوَصْفِ بِالمَصْدَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾:

تصويرُ شِدَّةِ ظلمِ آلِ فرعَون

إِضَافة العذَابِ إلى السُّوء في قول الله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ مِن إِضَافَةِ الصِّفة إلى الموصوفِ، أي: يسومونَكُمُ العذابَ السُّوءَ، فَوَقَعَ الوَصْفُ بالمصدرِ قَصْدًا لِلْمُبَالغةِ في وصف شدَّةِ العذابِ وفظاعَتِهِ، فكأنَّ ما عداه مِنَ العَذَابِ بالنِّسبة لَهُ لَيس بسُوءٍ[1].

بلاغةُ فَصْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾:

فُصلَ قولُ الله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ عمَّا قبلُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فكأنَّه لما ذُكر سوءُ العذابِ؛ قيل: ما الذي سامُوهم إيَّاهُ؟ فجاء الجوابُ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾[2].

بَلاغةُ الفصْلِ والوَصْلِ فِي تَوْجِيهِ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

الإشارَةُ إلى مِنَّةٍ خاصَّةٍ كانتْ لموسى عليه السلام

وَرَدَ ذِكر التَّذبيح ههنا مفصولًا بغير واوٍ، قالَ الله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾، وجاء موصولًا بالواو في قوله سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [إبراهيم: 6]؛ لأنَّ ما في سورة البقرة لم يُرَدْ به تعدادُ المِحَنِ عليهم، بخلاف ما في سُورة إبراهيمَ، فقد عدَّد عليهم المِحَنَ استجابةً لأمْرِ الله له بذلك في قوله: ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ﴾[3] [إبراهيم: 5]، وذِكْرُ الواوِ أنسَبُ لتحقيق هذا الغرضِ؛ لأنَّه يقتضي أنَّ التَّذبيحَ جِنْسٌ آخَرُ مِنَ المِحَنِ غيرِ سُوءِ العذابِ، وأنَّ سَوْمَ سُوءِ العذاب كان بالتَّذبيح وبغيره؛ لأنَّ الامتنانَ جاءَ على لسانِ موسى عليه السلام، فهو يستشعرُ بذلك الامتنانِ شعورًا خاصًّا، خاصةً وأنَّه نجا منَ الذَّبحِ، بخلاف ما في سورة البقرة، فإنَّ التَّذبيحَ وَقَعَ تَفْسِيرًا لسُوءِ العَذَابِ.

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 2/158.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/79.
(3) الكرمانّي، غرائب التَّفسير: 1/138، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 1/311.

بَرَاعَةُ اِخْتِيارِ المُفْرَدَةِ في آياتِ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

الإشـــارَةُ إلى الإعـــجـــازِ التَّاريخيِّ وإلى الضَّامرِ في نفسِ موسى عليه السلام

جاء التَّعبير ههنا عَن صَنيع آل فرعون بأبناء بني إسرائيل بالفعل (ذبَّح) فقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾، وفي سُورة الأعراف وقع التَّعْبِير عن ذلك بالفعل (قَتَّلَ)، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: 141]؛ لأنَّ الذَّبحَ دالٌّ على القتلِ وصِفَتِهِ، بخلاف القَتْلِ فلا يُفْهَمُ منهُ إلَّا إعدامُ الحياةِ، فجاء التَّعبير في أول موضعٍ بما يُوفي المقصودَ مِنَ الإخبار بالقتل وصِفَتِهِ على وجه الإيجازِ؛ لكونه وقع بلفظٍ واحدٍ وهو ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، بخلاف ما لو ذُكِرَ القتلُ، وأُتْبِعَ ذلك بذِكْرِ الوصفِ، فإنَّه لا يكون إيجازًا، ثُمَّ في سورة الأعراف جاء التَّعبيرُ بالقتل؛ لحصولِ وصفِهِ بما ذُكِرَ في سورة البقرةِ، وليتناسبَ ذلك مع قوله تعالى قبلُ: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾[1] [الأعراف: 127].

وأمرٌ آخرُ وهو إشارةٌ قرآنيَّةٌ إلى أنَّ العامَ الذي وُلِدَ فيه موسى عليه السلام هو العامُ الذي كان نوعُ القتلِ السَّائدِ فيه هو الذَّبحَ، فهناك استشعارٌ خاصٌّ لتلك المنَّةِ، ففي الآيةِ إشارةٌ إلى إعجازٍ غيبيٍّ تاريخيٍّ، يكشفُ عن حقيقةٍ ضامرةٍ في نفس موسى[2] عليه السلام.

سِرُّ تَقْدِيمِ ذَبْحِ الأَبْنَاءِ عَلَى اسْتِحْيَاءِ النِّسَاءِ:

ذَبْحُ الولدِ أشدُّ في العذابِ مِن مجرَّدِ إبقاءِ النِّساءِ للخدمةِ

قُدِّمَ ذبح الأبناء على استحياء النِّساء في قول الله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾؛ لكون ذبح ولدِ الرَّجُلِ والمرأةِ أشدَّ في العذابِ مِن استحياء النِّساءِ، أي: إبقائهنَّ أحياءً للخدمةِ[3]، فيكون من باب التَّدَلِّي[4].

(1) ابن الزُّبير الغرناطِيّ، مِلاك التَّأويل: 1/34، والزَّركشي، البرهان: 1/120.
(2) المثنى محمود، نظرية السياق القرآني، دار النفائس، ط2، ص: 259.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/314.
(4) التَّدلِّي: أن يُذكرَ المعنى، ثُمَّ يُزْدَفَ بما هو أدنى مِنْهُ، يُنظر: السُّيوطيّ، شرح عقود الجمان، ص: 135.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالنِّسَاءِ دُونَ البنَاتِ:

عُدُول التَّعبيرِ عن المُقَابلَةِ اللَّفظيَّةِ لأجلِ بَيانِ المَعْنَى.

جاء التَّعبيرُ القرآنيُّ بـ: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ دون (وَيَسْتَحْيُون بناتِكُم) مع أنَّه أنسبُ في الظَّاهِرِ ليُقابِلَ: ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾؛ لِنكتَتين[1]:

إحداهما: أنَّ البناتِ في حالِ صغرهنَّ لا مؤونة منهنَّ، ولا مشقَّة، وإنَّما تلحق المؤونة والمشقَّةُ آباءهُنَّ؛ إذا كبِرْنَ، وصرنَ نساءً.

الأخرى: فيهِ إشارةٌ إلى الوصف الذي مِن أجله أُبْقِينَ أحياءً، وهو أن يَصِرْنَ نساءً، ويتطلَّعن لطلب الرِّجال، فلا يجدْنَ، فيُحتقَرْنَ، ويُذَلَّلْنَ؛ لبقائهنَّ من غير رجالٍ، فيصِرْنَ مفترشاتٍ لأعدائِهنَّ، ويلحقُ العارُ بِهِنَّ حينئذٍ.

فائدَةُ خطابِ بني إسرائيل فيما وقَعَ لأسلافِهم:

كمالُ الامْتِنَان على بني إسرائيل

علَّق الله تعالَى الإنْجَاء بالمخاطبين؛ لأنَّ إنجاء سَلَفِهم إنجاءٌ لهم، فإنَّه لو أبقى سلفَهُم هنالك؛ لَلَحِقَ المخاطبين سوءُ العذابِ وتذبيحُ الأبناء. أو هو على حذف مضاف، أي: نجَّينا آباءكم. أو هو تعبيرٌ عن الغائبِ بضمير الخطابِ: إمَّا لنُكتة استحضارِ حالِه، وإمَّا لكون المخاطَبين مثالَهم وصُورَتَهم، فإنَّ ما يثبت مِنَ الفضائل لآباء القبيلةِ يثبتُ لأعقابهم، فالإتيان بضمير المخاطب على خلاف مقتضى الظاهر على حدِّ ما يقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]، فالخطابُ ليس بالتفاتٍ؛ لأنَّ اعتبارَ أحوال القبائل يُعدُّ لِلْخَلَفِ ما ثبت مِنْهُ للسَّلف[2].

دلالة تَنْكِيرِ البَلَاءِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾:

عَظَمَةُ المِنَّة الإلَهِيَّة عَلَى العِبَادِ

تنكير (بلاء) من قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ يُرادُ به النَّوعيَّةُ المستلزِمَةُ القولَ بالتَّعظيمِ والتَّفخيم،

(1) السّيوطي، معترك الأقران: 3/310، وعبد الفتَّاح لاشين، صفاء الكلمة، ص: 187.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/493-494.

ويُقصدُ بالنَّوعيَّة: أنَّ في ذلك نوعًا مِنَ البَلاءِ، لا يعلم كُنْهَهُ إلَّا اللهُ تعالى، وفي هذا مِنَ التَّعظيمِ ما لا يخفَى، فيكون وصفُ البلاءِ بالعَظَمَةِ بمنزلة التَّوكيد المعنويِّ لَهُ[1].

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ اسْمِ الرَّبِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾:

في اختيار اسم الرَّبِّ في قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ مناسبَةٌ ظاهرةٌ مع سياقِ الامتنانِ؛ فإنَّ اسم الرَّبِّ المالك، والمتصرف، والمدبِّر، والمربّي لجميع مخلوقاته؛ مُشعرٌ بالإنعامِ والإحسانِ.

سِرُّ الفصْلِ بين الصِّفةِ والموصوفِ:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على النَّعت ﴿عَظِيمٌ﴾، إذِ الأصلُ: (وفي ذلكم بلاءٌ عظيمٌ من ربِّكُمْ)؛ فهو من قبيلِ الفصْلِ بين الصِّفةِ والموصوفِ لسرٍّ، بيانيٍّ وهو: أن يعلمَ المخاطَبُ أنَّ البلاءَ من الله سبحانه، ولتقعَ الصِّفةُ موقعًا مستقلًّا في البيانِ، ولو وُصِلتْ لفاتتْ نُكتةُ الاستقلالِ، فكأنَّه أخبرَ عن البلاءِ مرَّتين، الأولى بأنَّه بلاءٌ من الله، والأخرى أنَّه عظيمٌ، وهذا من بديع الفصْلِ بين الصِّفةِ وموصوفِها، وفيه مزيدُ امتنانٍ، بالإضافةِ إلى تحسينِ الفاصلةِ القرآنيَّةِ، وإيقاعِ الصَّوتِ موقعًا مُؤثِّرًا في السَّماعِ.

الإخبارُ عن البلاءِ مرَّتين، يزيدُ من الامتنانِ واستحضارِ الإنعامِ

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

نَجَّى وَأَنْجَى:

ذكر جماعةٌ مِن أهل العلم أنَّ التَّنجيةَ والإنجاءَ واحدٌ، وأنَّهُ: مطلقُ الإنقاذِ مِنَ المَكْرُوه[2]، وكُلُّ ما في القرآن مِن هذا التَّركيبِ فهو بمعنى: الخُلُوص مِن خَطَرٍ مُحْدِقٍ أو عذابٍ أو غَرَقٍ أو كَرْبٍ، ونحو ذلكَ[3].

وفَرَّق آخرونَ بينَهما: بأنَّهما يَشْتَرِكَان في التَّخليص مِن المَهْلَكَةِ، ثُمّ يختصُّ الإنجاء بأنَّه: الخلاص قبل الوقوعِ في المَهْلَكَة، وتختصُّ التَّنجيةُ بأنَّها: الخلاص بعد الوقُوع فيها[4].

---

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/255.

(2) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 1/134، وأبو المظفَّر السَّمعانّي، تفسير القرآن: 1/76، ومحمّد الأمين الشّنقيطي، أضواء البيان: 2/285.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (نجو).

(4) أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللّغويَّة، ص: 77، والمذكورُ هُوَ من زيادات طبعة مؤسسة النَّشر الإسلاميّ بِقُمّ على أصل كتاب أبي هلالٍ.

ويدلُّ على المعنى المذكور للإنجاء قولُ الله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: 9]، فإنَّ الكلام ههنا عَنِ الأنبياءِ؛ لأنَّه قال قبلها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: 7]، وقد أنجاهمُ الله تعالَى مِنَ العذاب قبل وقوعِهِ على أُمَمِهِمْ.

ويدلُّ على المعنى المذكور للتَّنجيةِ قولُ الله سبحانه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، فإنَّ تنجيةَ الله تعالى لبني إسرائيلَ كان بعد وقوع العذابِ عَلَيْهِم[1].

ويُشكِلُ على هذا الفرقِ ذِكْرُ الله سبحانه إنجاءَ بني إسرائيل بصيغة (أَنْجَى) بعد وقوع العذابِ عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 141].

والجواب عَن هذا بأنَّ الصِّيغَتَيْنِ قد تتقارضَانِ: إمَّا بحسب اللُّغةِ، وإما مجازًا.

وثَمَّ تفريقٌ آخَرُ بين الفعلين في السِّياق القرآنيّ: وذلك أَنَّ الغالبَ استعمالُ (نجَّى) لِما فيه تلبُّثٌ وتمهُّلٌ في التَّنجية، بخلاف (أنجى)، فهو لِلْإِسْرَاع فيها، فالإنجاء -على هذا- أسرع مِنَ التَّنجية في التَّخلُّص من المَهْلَكَةِ، كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: 49-50]، فاستُعمِلَ ههنا كِلَا الفعلين، فـ (نَجَّى)؛ لِمَا كان فيه التَّخليصُ بعد شدَّةٍ وعذابٍ طالَ أمدُهُمَا، وهو تذبيحُ الأبناء واستحياءُ النِّساء، بخلاف (أنجى)، فهو مستعمَلٌ في التَّخليص من هَوْلِ البحرِ بفَرْقِهِ، وتلك الشدَّةُ لم تَطُلْ عليهم.

وقد يُستعمل في الحادثة الواحدةِ الفعلانِ: (أنجى) و(نجَّى)، في موضعين مختلفين، وذلك بحسب ما يَقْتَضِيه السِّياقُ، فقد يتطلَّبُ المقامُ ذكر الإسراعِ في النَّجاةِ، فيُستعمل الفعل (أَنْجَى)، وقد لا يتطلَّب ذلك، فيُستعمل الفعلُ (نَجَّى)، وذلك لأنَّ طولَ الزَّمن وقِصَرَهُ أمران نسبيَّانِ، فقد يستطيلُ أحدٌ أمرًا، وقد يستقصِرُهُ بحسب المقامِ[2].

(1) أبو هلال العسكريّ، معجم الفروق اللّغويّة، ص: 77.

(2) فاضل السّامرائّي، بلاغة الكلمة في التّعبير القرآنّي، ص: 71-66.

ذَبَحَ وَذبَّحَ:

صيغةُ (فعَّل) تَرِدُ لِمَعَانٍ، مِنْهَا: التَّكثيرُ[1]، ومن ذلك (ذبَّحَ): فإنَّه دالٌّ على تكثيرِ الذَّبْحِ، بخلاف (ذَبَحَ)، فإنَّه لا يستلزمُ التَّكثير، فيُستعمل لِلْقَلِيل والكثيرِ[2].

القَتْلُ وَالذَّبْحُ:

بينَ القَتْلِ والذَّبح عمومٌ وخصُوص مُطلَق: فكلُّ ذبحٍ قتْلٌ، وليس كلُّ قتْلٍ ذَبْحًا[3]، فقد يكون القَتْلُ بالضَّرْبِ أو الخَنْقِ أو الإغراقِ أو نحوِ ذلك، بخلاف الذَّبْحِ، فهو قَتْلٌ مخصوصٌ بشقّ حلق المذبوح.

(1) ابن السَّرّاج، الأصول في النَّحو: 3/116.
(2) الزَّبيديّ، تاج العروس: (ذبح).
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 104.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»